ادب النديم

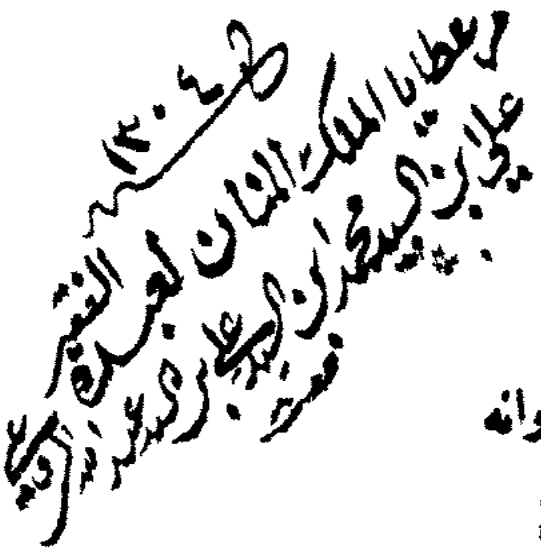

ادب النديم

لاديب زمانه وأريب عصره وأوانه

أبي الفتح محمود بن الحسين الكاتب

المعروف بكشاجم لازال

منهلا عليه احسان

ربه الكريم

الدائم

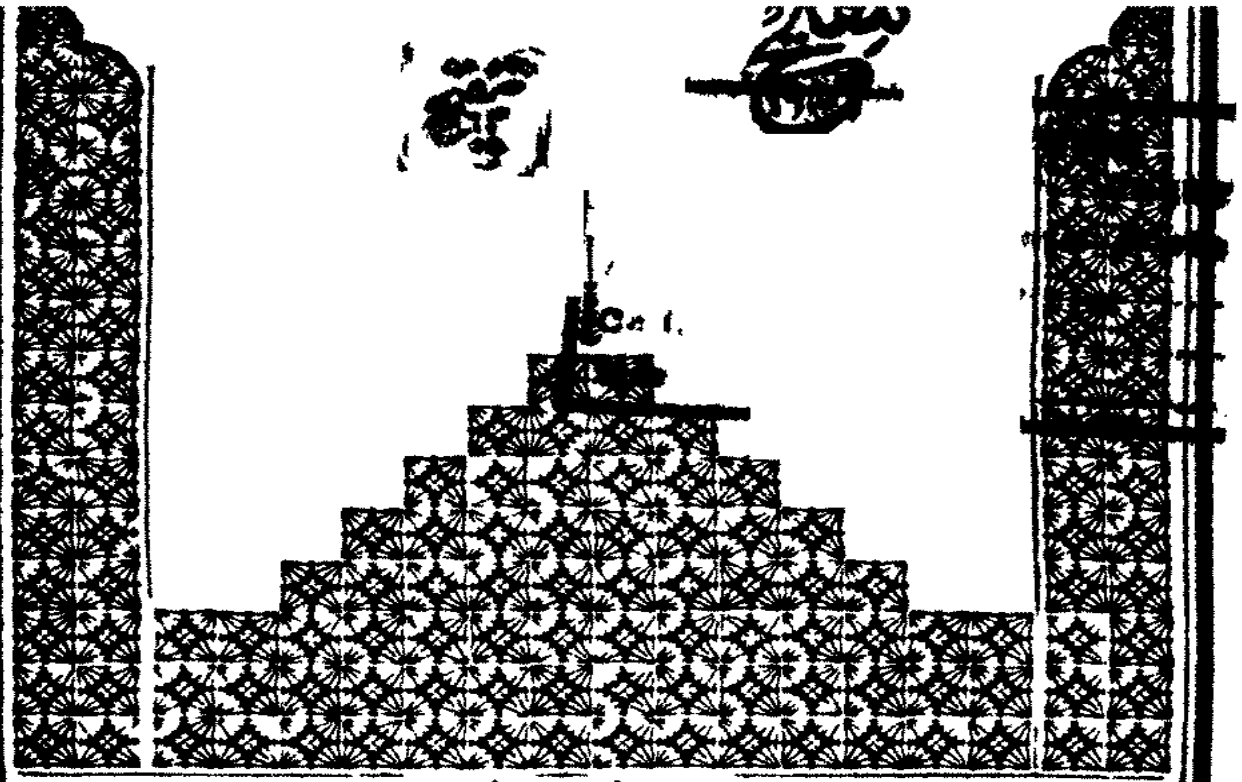

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما بعد حمد الله بكمه النية والثناء عليه بغاية الاستطاعة وشكره على ما خص به أهل الادب من الفضيلة وأحلهم اياه من المنزلة الرفيعة لالتباسهم بالنفوس وتمكنهم من القلوب وتنزههم عن العيوب فاني وجدت من تقدم من العلماء وعنى بتاليف الكتب من الادباء قد جردوا بذكر الشراب كتبا ضمنوها من نعوت أصنافه وأوصاف محرمه ومحلله وتبيين خصاله ولطائفه وحدود منافعه ومضاره وضروب ملاذه ومساره وما استغرقوا فيه المعنى واستوفوا به المدى وأغفلوا ذكر النديم بما يجب ذكره والتنبيه على منزلته وموقعه وافراده من القول بما يبين عن فضله ويدل على محله الا في جمل أدرجوها ولم يبسطوها وملح في أطراف الكتب فرقوها ولم يؤلفوها (فاحببت) أن أجرد في ذلك كتابا أفصله

وابوبه

وأبوبه وأوفى كل معنى فيه حقه وأضم الى كل شكل شكله وأجمع الى ما تستطيبه القريحة أحسن ما وجدته فى هذا المعنى متفرقا فى أمثال الحكماء ومنظوم الشعراء ومنثور البلغاء وأخبار الظرفاء وأودعه من أدب النديم ما لا يستغنى عنه شريف ولا يجوز أن يخل به ظريف ليكون منهجا واضحا لمن نظر فيه واماما يقتدى به من وقع اليه واسأل الله حسن التوفيق لسديد المقال والسلامة من الزلل والعثار بمنه وقدرته

باب مدح النديم وذكر فضائله

وذم المتفرد بشرب النبيذ

(أخبرنى) جماعة من الموثوق بهم فى اللغة ان العرب انما سمت النديم نديما لانه يشدم على فراقه وفخر امرؤ القيس مع شرفه وملوكيته بالندام فقال

ونادمت قيصر فى ملكه * فأوجه فى وركبت البريدا

وقال المتقدمون كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله وقالوا اذا وليت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعده عنك بكتابك واستعقل حاجبك فانه يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستظرف نديمك فانما يزفك الداخل اليك بمثقال من يراه معك وفاخر كاتب نديم. فقال الكاتب أنا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للخدمة

وأنا للعناوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وأنت تحتشم وأنا مؤانس تدأب لراحتي وتشق لسعادتي فأنا شريك وأنت معين كما أنك تابع وأنا قرين الآن بعض الخلعاء يقول

اذا وجدت المدام فاغن بها * عن كل من في ندامه ضفت
في شربها من ندامه خلف * وليس فيه من شربها خلف
فلا يشاركك في السرور بها * مشاركك كل شركة أسف

فما زاد بهذا القول على أن بين مكانه من البخل والجهل بل هو في ذلك كما قال أبو نواس * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء * ولعمري ان للنبيذ الفضائل التي لا تدفع والخصائص التي لا تجحد والقوى التي تعكس الاضداد وتعدل المزاج وتصحح الطباع وهو الموصوف بتشجيع الجبان وتقوية الجنان واطلاق اللسان وتبسيط البنان الآن فيه بازاء هذه الخلال أشياء تقدح في محاسنه وتبين عن معايبه منها أن صاحبه يتكرهه قبل شربه ويكلح عند شمه ويغتم أن يفضل في قدحه ويكثر عتاب ساقيه ويعاقر عليه ويمزجه ليغير طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويستعيذ بالنقل بعده ويعاني من الدوار والخمار ما لا خفاء به حتى لقد قال بعض الادباء لولا أن الخمور يعلم قصته لقدم وصيته ثم الكرهوا كبره وبه حتى ان الملل كلها مجمعة على تحريمه غير مختلفة فيه وحتى لقد حرم الخمر في الجاهلية جماعة من كبراء العرب وأفاضلهم لما نالهم من معرة السكر منهم قيس بن عاصم السعدي وعامر بن الظرب العدواني وعفيف بن معديكرب ومقيس بن

صبابة السهمى وعبدالله بن جدعان وكثير من هذه الطبقة
نكره الاطالة بذكر أسمائهم فلقيس بن عاصم فى تحريمها

رأيت الخمر مصلحة وفيها * خصال تفسد الرجل الكريما
لان الخمر تفضح شاربيها * وتجنيهم بها الامر العظيما
اذا ديت حياها تعات * طوالع تسفه الرجل الحليما

وقال مقيس بن صبابة

رأيت الخمر طيبة وفيها * خصال كلها دنس ذميم
ولا والله أشربها حياتى * طوال الدهر ما طلع النجوم

فأما مقيس بن صبابة فانه كان سكر فجعل يخط بيوله ويقول نعامة
أو بعير فلما أفاق اخبر بذلك فحرم الشراب * وأما عبدالله بن جدعان
فانه سكر وجعل يساور القمر فلما أصبح وخبر بذلك حرمه أيضا
(وقيل) لاعرابى تشرب النبيذ قال أشرب ما يشرب عقلى وقيل
لبياذوق لم تركت النبيذ فقال رأيت صاحبه لا يروى منه ووجدت
بعضه يدعو الى بعض فتركت قليله لكثيره * وممن كان يشربه
للشهوة الغالبة فقط ولا يبالى على أى الحالات شربه منفردا وحده
أو مجتمعا فيه مع غيره جماعة لا يتهمون فى عقل ولا رأى الا أن
افراطهم فى هذه الشهوة ابطلهم وغلب عليهم ففسدت حال دنياهم
ودينهم منهم أبو الهندى شبث بن ربعى التميمى ومر به نصر بن سيار
الليثى وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال لو لم أفسد شرفى لم
تكن أنت والى خراسان * وحارثة بن بدر الغدانى وكان غلب على
زياد وغلب الشراب عليه فعوتب زياد فى الاستئثار به فقال كيف

أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق فلم تصطدم ركابه بركابي ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا أخذ على الشمس في شتاء قط ولا سألته عن باب من العلم الا ظننت أنه لا يحسن غيره * والوليد بن عقبة وكان أميرا على الكوفة فصلى بهم صلاة الفجر ثلاثا ثم التفت اليهم في وقت التسليم فقال أحسبكم وأزيدكم * وأبو محجن الثقفي وكان محبا مغرما بالشراب وله مع سعد بن أبي وقاص في الشراب اخبار يطول شرحها ومن لم نذكر أسماءهم من هذه الطبقة كثير فاذا كانت هذه صورة النبيذ فانه يغتفر له ما ذكرنا ويتجوز فيه ويتجافى عنه لما بني عليه وجعل سببا اليه من اجتماع الشمل وأنس المنادمة وارتياحية المذاكرة ولو انفرد النبيذ بنفسه وحصل عليه وحده دون النديم المساعد والسماع المطرب لكان الوعاء أولى به فتبين بهذا أن المعاقرة أفضل من العقار والنديم فائدة المدام وأنشدني منشد

لم يكن بيننا رضاع ولكن * ولدت بيننا المدام رضاعا
ان يكن أول المدام رضاعا * أو يكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هنات * وصفها بالسرور لن يستطاعا

ومن جيد ما مدح به النديم قول بعض المتقدمين

أرى للكأس حقا لا أراه * لغير الكأس الا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه * رحى اللذات في الزمن القديم

فاما قول أبي نواس أمير هذا الشان وفارسه

خلوت بالراح أناجيها * آخذ منها وأعاطيها

نادمتها اذلم أجد مسعدا * أرضاه أن يشرك فى فيها

فهذا بعد اغما يدل على فضل النديم وانه لم يتفرد بالنبيذ مختارا وانما توحد به ضرورة لقوله انه لم يجد نديما مرتضى أوليس هو القائل

الراح طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس

ولم تفتخ أبيات فى مدح نديم أحسن من قول أبى مسهر الطائى

ونديمان يزيد الكأس طيبا * سقيت وقد تغورت النجوم

وللعطوى أشعار كثيرة فى الندام كلها مختارة فمنها

يقولون قبل الدار جار موافق * وقبل الطريق النهج أنس رفيق

فقلت وندمان الفتى قبل كاسه * وماحث سير الكاس مثل صديق

وقال أيضا

الراح والندمان أحسن منظرا * من كل ملتف الحدائق رائق

فاذا جمعت صفاءها وصفاءه * فاقذف بكل ملمة من شاهق

ولقد ملح عصابة الجرجرائى فى قوله

اقرأ السلام على الامير وقل له * ان المنادمة الرضاع الثانى

باب اخلاق النديم وصفاته

وليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم هو أولى باستجماع محاسن الاخلاق وأفاضل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه ليحتاج أن يكون فيه أشياء متضادة فيكون فيه مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مزاح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو

To: www.al-mostafa.com

مضطرا اليها فى حال لا يحسن أن يخل بها فيها او وقت لا يسعه العدول
عنها والى أن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى
يخادمه على حسب ما يبلوه من أخلاقه ويعلم من معانى لحظه
واشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته والانصاح به فيسبقه الى شهوته
ويبدره الى ارادته كما قال بعض الكتاب

وندیم حلو الحديث يجاريـ ـك بما تشتهيه فى ميدانك
ألمعى كأن قلبك فى اضـ ـلاعه أو كلامه بلسانك

ومن صفة النديم أن يجمع الى الصبر على مضض الجوع احتمال
كظة الازدياد على الشبع لانه مدفوع الى مؤاكلة أحد رجلين
اما سخى شديد المحبة لان يوكل طعامه فيطالبه بالاكثار
ومساعدته عليه ومساواته فيه فاذا فعل ذلك حظى عنده وقرب من
قلبه بالمشاكلة فان قصر أنزل ذلك منه على التجهيل له وتعمد التنغيص
عليه فيكون حاله فيه كحال محمد بن عبد الملك الزيات فانه قال أعين
على أحمد بن أبى دواد بأشياء لم أعن عليه بمثلها حتى انه أعين على فى
تمكن حاله عند الواثق بأنه كان طيب الاكل طحون الضرس هضوم
المعدة وكنت على خلاف ذلك فحضرته يؤاكل الواثق وليس معهما
ثالث ودعانى الواثق الى الطعام فاقبلت أنفر على حسب عادتى
وخمود شهوتى وهما يتباريان فى تكبير اللقم وجودة الاكل فلما
رأى أحمد ذلك منى قال يا أمير المؤمنين ما جلوس هذا المحتشى معنا
يحصى علينا اللقم اما أكل كما ناكل فوفانا حق المؤاكلة ولم يحشمنا
أو نهض فتفرد بمؤاكلة أمير المؤمنين من يحسن حضورها ويقابلها

بما يشبهها فقال الواثق قد صدق أحمد فكل أودع فما تملكت أن نهضت أواليم طعامه عنده بمنزلة سمعه وبصره فان أسرع فيه أو تناول أطايبه فكأنما يأكل من جوارحه فهو مضطر الى أن يجاهد نفسه ويغالب طباعه حتى يألف هاتين الحالتين ويجرى على هاتين العادتين فيكون حينئذ أتم فى آلات الندام وأقهر لسلطان الشهوة ممن يعتمد على تقديم الاكل فى منزله ويتعالج بمثل ما رأيناه جماعة من المترسمين بالندام يستعملونه من اتخاذ الخازن علوة أدهانا فى خفاف غلمانهم أو اللفات مدرجة فى المناديل اذا أمكنهم ذلك فاذا مضهم الجوع وشحذهم الشراب تغفلوا الغفلة وانتهزوا الفرصة فتناولوا ما أعدوا من ذلك فى الخلوات وربما كان فى المذاهب وما أشبهها من المواضع الخسيسة وكل ذلك قبيح جدا وفيه أشياء مذمومة منها انه لا يؤمن أن يطلع عليها بعض حاشية المنادم فينبهها اليه فيوغر بقلبه ويحفظه ويرى أنه فى ذلك الفعل قد هجاه وبخله لانه ليس كل ذى خلق دنى يعترف به من نفسه بل كثير من ذوى العيوب يعمى عن عيوبه أو يتعذر الموضع الذى يؤخذ منه ذلك فيه فينال جسمه من الضرر بمفارقة العادة وفقد النفس شيأ قد تطلعت اليه وتشوقت له اما بعلة ومرض أو يحلفه رئيسه ويقسم عليه أن لا يأكل الا معه فيضمن له ذلك ويعده به ويخالف فيكون قد خان ونكث * وكان عيسى بن جعفر الهاشمى يفعل هذا مع الرشيد كثيرا وكان الرشيد يثلبه عليه ويذمه ويبكته به فمن ذلك أنه قال له فى بعض العشيات وجماعة من جلسائه

قد اشتهيت أن آكل في صيحة غدهريسة وقد تقدمت باتخاذها
ولا يخلط بها غيرها فاقبلوا على البكور واجوا أنفسكم الشهوة
ووفروها على الهريسة وكان بعضهم ملازما لعيسى خصيصا به
فحكى انه غلس الى منزله ولم يكن يحجب عنه فألفى عيسى جالسا بين
يديه بقية شمعة وطبق كبير عليه طيفورية ان عظيمتان احداهما
مملوءة هريسة وفي الاخرى ثلاث غضارات صينية فيهن مرى
ودارصيني وفلفل ورقاق لطاف لا تنفصل عن الكف وهو يأخذ
الرقاقة فيلفها ثم يمرها على تلك الغضارات ويزدردها قال فقلت
يا سبحان الله أنسيت ما اتفقت عليه مع أمير المؤمنين فقال لا تعجب
فهذه الطيفورية الثالثة فامسكت يده وجذبت الطبق وجبرته
على غسلها وركبنا فوافينا أمير المؤمنين جالسا على حصير الصلاة
حين انفتل من صلاته وهو يستتم تسبيحه وروائح الهريسة قد
ملأت الدار فقال لقد أبطأتما ودعا بالطعام فاحضر فاندفع عيسى
يأكل كأنه لم يذق شيئا منذ أيام فلم أتمالك أن ضحكت فقال الرشيد
ما هذا قلت لا أصدق أمير المؤمنين عن خبر عيسى قال ايه قلت كان
من أمره كيت وكيت قال أتراني شككت في انه يفعلها اعلم انه لو لم
يفعل لاكلني وأكلك • فاما العبث والمزاح فلا من المنادم موقع
لطيف ومحل خصيص اذا تبين النديم منه نشاطا لذلك وقال قائل
للمامون أيأذن أمير المؤمنين في المداعبة قال وهل العيش الا فيها
(وقدم) العتابي عليه وعنده اسحق بن ابراهيم الموصلي فسلم ورد
عليه وجلس وأقبل يسأله عن حاله ويجيبه بلسان طلق فاستظرفه

وأخذ معه فى مداعبته فظن الشيخ أنه قد استخف به فقال يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس ثم أخذوا فى المناوضة والحديث * وأغرى المأمون اسحق بالعبث بالعتابى فاقبل يعارضه فى كل ما يذكره ويزيد عليه فعجب منه ثم قال اياذن أمير المؤمنين فى مسئلة هذا الانسان عن اسمه ونسبه قال افعل فقال العتابى ممن أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال العتابى أما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكر وما كل بصل من الاسماء قال اسحق ما أقل انصافك وما كان وم من الاسماء البصل أطيب من الثوم فقال العتابى لله درك ما أرجحك ما رأيت يا أمير المؤمنين كالرجل قط أفيأذن لى فى صلته بما يصله به أمير المؤمنين فقد والله غلبنى فقال المأمون بل هو موفر عليك وآمر له بمثله وخمسة آلاف فانصرف اسحق بالعتابى الى منزله وناديه بقية يومه * ومما يزيده فى المحل تقدما وعند ملكه ورئيسه تعظيما وتمكنا أن يكون عالما بكل ما يتنافس فيه الملوك ويغالون فيه من الرقيق الثمين والجوهر النفيس والآلات المحكمة وأنواع الطيب والفرش الى غير ذلك من الخيل والسلاح وسائر ما يهدى منه الى الملوك فى مجالس لذاتهم وتعرض عليهم أوقات نشاطهم فمن أبرد من النديم مجلسا أو أكسف منه بالا اذا عرض على الملك شئ من هذه الاعلاق فاعتمد فيها على معرفته واستعان على تخيرها ببصره ورجع فى استفادتها الى نظره وتقيه فلم يحر جوابا فى ذلك ولم يحط بشئ منه علما * ويستظرف منه أن يصف اللون الغريب من الطبيخ والصوت البديع والشعر الشجى واللحن من

الغناء ورأيت الملاح من أهل هذه الطبقة يقولون ان من لم يشد عشرة أصوات ويحكم من غرائب الطبيخ عشرة ألوان لم يكن عندهم ظريفا كاملا ولا نديما جامعا ولقيت من الكتاب في هذا المعنى

تعالوا الى الخل الذى لم يزل بكم * يطول على ريب الزمان ويشمخ
فقد حصلت عندى لكم فتعجلوا * ثلاث دجاجات سمان وأفرخ
وراح وريحان ومسك وعنبر * نبخر أحيانا به ونضمخ
ومسمعة كالبدر تشدو بصارخ * تهادى القلوب نحوه حين يصرخ
وها أنا ذا طباخكم ولربما * رأيت ظريف القوم يشدو ويطبخ
سوى انه لا يقطع اللحم كفه * ولا هو ان لم توقد النار ينفخ
واني لاستخذى لاهل مودتى * وأزهى على أهل المعالى وأبذخ

ولا يستحق النديم هذا الاسم حتى يكون له جمال ومروءة أما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته ونصاحة لسانه وأما مروءته فكثرة حيائه في انبساط الى جميل ووقار مجلسه مع طلاقة وجهه في غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة وقيل للعتابى ما المروءة قال ترك اللذة قيل له فما اللذة قال ترك المروءة

باب التداعى للمنادمة

قد آثر بعض الظرفاء من اسقاط التصنع في هذا الباب ما هو أليق بالمؤانسة وأنفى للانقباض والجشمة ولو لم يكن في الاحتفال من النقيصة والاقتضاب من الفضيلة الا أن المحتفل قد ضيق العذر على

نفسه فى تقصير ان صح كان منه والمقتضب مفتقر له ذلك لكنى به
(وروى) ان رجلا دعا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام
فقال آتيك على أن لا تدخر عنا ما عندك ولا تتكلف لنا ما ليس
فى وسعك (وقال) المأمون لجعفر بن سليمان الطيب والطعام
لا يزيد فى جودتهما كثرة الانفاق عليهما ولكن اصابة المعنى وكتب
الى صديق لى

قم بنا نقتضب صبوحا صالحا * تسعد الله لى بك اليوم جدى
لم أبت له اعتزاما ولا قلت غدا كن فدتك نفسى عندى
فهو طيبا رموقعا كحبيب * جاءنى زائرا على غير وعد

(وحدثنى) بعض شيوخنا عمن حدثه أن ظريفا من الكتاب احتبه
الحسن بن سهل بلغه أن عبد الله بن يزيد عشيق أبى تمام الطائى
الذى يقول فيه

يا سمى النبى فى سورة الجن ويا ثانى الولاة بمصر

احتفل لدعوة دعاها احتفالا شديدا وتعمل لها حتى اشتهر أمرها
قبل وقوعها فكتب اليه أما ارتفعت عن تثبيت الدعوات بعد
(ودعا) محمد بن عبد الله بن طاهر رجل من أصحابه دعوة تقدم فيها
فاحتفل لها فلما حضر محمد طعامه بالطعام فعاله ليتكامل و يتلاحق
على ما أحبه من الكثرة والحفلة حتى تصرم أكثر النهار ومس محمدا
الجوع فتنغص عليه يومه وأراد محمد سفرا فشيعه هذا الرجل حتى
اذا دنا منه ليودعه قال له أيها الامير بقى قال نعم تجعل طريقك فى
عودتك على محمد بن الحرث بن بصير فاسأله أن يعملك الفتوة فضى حتى

دخل الى مجلس بغتة فقال له بعض اليك الامير لتعلمي الفتوة فضحك وقال يا غلام هات ما حضر فاتى بطبق كبير عليه ثلاثة أرغفة من انظف الخبز وأنقاه وسكرجات مرى وخل وملح من اجود ما يتخذ من هذه الاصناف وابتدأ يأكل فجاءته فضيلة باردة من مطبخه وتداركها الطباخ بطباهجة ووافاه من منزل حرمه فضيلة اخرى واهدى له بعض غلمانه جام حلواء فانتظم له خفيف ظريف في زمان يسير و بغير احتشام وانتظار (وسمعت) بعض الاغنياء يعتذر من ترك التحفل بعذر ما حسن الاعتذار قط الا من مثله وذلك أنه قال ما يمنعني من الاحتفال الا الاستظهار فقلت له وكيف ذلك قال أكره ان أحتفل فيتأخر عني من ادعوه اما عن عمد او عائق فاكون قد تكلفت ما لم ينتفع به فقال في ذلك بعض اخوانه

اذا كنت لا تدع الاحتفال ... الا لانك تستظهر
فلا تدعون احدا بتة ... فهذا هو النظر الاوفر
ولا سيما انا من بينهم ... فاني وحقك لا أحضر

(وكان) آخر لا يشرع في شيء من آلة الدعوة حتى يحضر اخوانه ويأمن تأخرهم فحينئذ يأمر باصلاح ما يحتاج اليه على مقدار قد عرفه فلا يلحق طعامه حتى يتصرم يومهم وتضطرم نار الجوع في احشائهم فقال فيه بعضهم

خاف الضياع على شيء يجعله ... من المطاعم اذ اخوانه ثقلوا
فليس تعلو على الكانون برمته ... حتى يرى أنهم في البيت قد حصلوا

(وخبرني) بعض من أثق بصدقه عن بعض البخلاء انه دعا قوما فابتاع

لهم جديا وأشفق من ان يذبحه فلا يحضروا فيخسر الجدى فذوره وعمل على أنهم ان حضروا ذبحه واحضره كهيئة المسعوط وان تاخروا اسخياء ولم يذبحه وليس هؤلاء باشراطهم فى هذا الاستظهار القبيح والنظر الرقيق بأذم ممن يدعى فيجيب ويحصل ذلك على نفسه ويوثق منه بالوفاء به ثم يتثاقل عن الداعى الملهوف حتى يجيعه ويجيع اخوانه ويثقل عليه عمره ويبرد عليه طعامه ويرد غلمانه ويطيل التشوق اليه فجزاء هذا عندى بعد الاستظهار عليه بالحجة واعادة الغلام اليه بالرسالة أن يستأثر اخوانه بالمؤاكلة دونه متعمدين بذلك الاستخفاف به ليؤدبوه ان كانت به مسكة وينبهوه ان كانت له فطنة وقد جاء فى الخبر المأثور فى اجابة الدعوة وترك التاخر عنها ماجرى مجرى الفرض الواجب وهو قول النبى عليه السلام من دعى الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل وان كان صائما فليصل والصلاة ههنا الدعاء مثل قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا أى لا تدع لهم ولا تترحم عليهم فاذا كان الصائم قد أمر بالحضور فكيف بالمفطر ومن قد أجاب ونالنى ذلك من فتى تياه فكتبت اليه

تأخرت حتى كدت الرسول * وحق سئمت من الانتظار
وأوحشت اخوانك المسعدين * وجمعتهم بشباب النهار
واضرمت للجوع احشاءهم * بنار تزيد على كل نار
فان كنت تأمل أن لا تجيب * فأنت وحقك عين الحمار

وكان يقال ثلاثة تضنى سراج لا يضئ * ورسول يطئ * ومائدة ينتظر

بها من يجي * وقال آخر المودة شجرة ثمرتها الزيارة وقال آخر المودة روح والزيارة شخصها * وكتبت الى صديق لي دعوته فتثاقل عني واعتل بعارض علة

يا بني أنت تباغضت وما كنت بغيضا
جاءني منك جواب * كان للعهد نقيضا
أنت لم تمرض ولكن * أحسب الود مريضا
واقد فاتك لهو * لست منه مستعيضا
ومدام شاكلت في الكاس ياقوتا نضيضا
وحديث ونشيد * شاب نحوا وعروضا
وغريض من غناه * فاق في الحسن الغريضا

وكتبت الى آخر

كتبت وعندنا روح وراح * واخوان تجهم ملاح
وبيضاء السوالف ذات عود * يناغيها غمانية فصاح
واحور من ظباء الروم ساق * كغصن البان تنثنيه الرياح
بديع ملاحة يدعى نجاحا * ولكن ما لوعده نجاح
له طرف منصف على جبين * كمثل الليل قابله الصباح
تحلى بالمناطق وهو عمن * يليق به القلائد والوشاح
وساطعة الشعاع رضاب نحل * حلال الشرب ليس بها اجتناح
وللوسمي بالقطر ابتدار * وللشرب ابتهاج وارتياح
شهرابهم سرور واد كار * وشدوهم اختبار واقتراح
وبين الضرب والاوتار حرب * وبين الناي والراح اصطلاح

فزرنا غير محتشم تزرنا * بزورتك المكارم والسماح

(ومر) بعض النبيذيين بجدى معين فقال ليت شعرى لغلمان من هذا فسئل عن معنى قوله فقال يؤخر اصحابنا الجدى فلا نصل اليه وفينا فضل له ويفوز الغلمان به (وخبرت) أن بعض المتقدمين كان يذكر ما يصنع لاخوانه من الطعام فى رقعة ويعرض عليهم فمن استطاب لونا حبس نفسه عليه * وروى ان زيادا كان يقول ما انفردت برغيف قط حتى يشركنى فيه غيرى ولا اكلت طعاما قط الا بشهوة من يكون معى وانا ارى ان بغتنى الزور وفاجانى الصديق أن اشافهه بوصف شئ ان كنت تقدمت باصلاحه وان قل واشهيه ولا أحتشم ان اقترح متعذرا ان أونسه وأقترح فى منزل صديق ولا اسومه ما اعلم ان حاله لا يحتمله فان استدعيت من الطباخ شيا عرفته بالالف واللام ولم اجعله نكرة كما يحكى عن بعض المتكبرين من المموهين ودعا قوما فقال لغلامه فى آخر طعامه هات حلوا ان كان عندك فقال له الغلام وكان عليه مدلا ما عندى الا القالوذج الذى عقدته بيدك * ودعا رجل رجلا فقال له هل لك ان تصير معى الى المنزل فتاكل خبزا وملحا فظن الرجل ذلك القول منه على المجاز فمضى معه فلم يزده على الخبز والملح شيا فبيناهما يأكلان اذ وقف سائل بالباب فرده صاحب المنزل مرارا فلم يبرح والح فقال له ان انصرفت والا خرجت اليك فهمت فالك فقال فقال له المدعو يا هذا انصرف فانك لو عرفت من صدق وعده ما قد عرفت من صدق وعده ما تعرضت له

باب الشرب وكثرتهم وقلتهم

فاما كثرة عدد الشرب وقلتهم فهم يسمون الاثنين منشارا ويكرهونهما وكان الثلاثة أتم مجلسا لان الاثنين ينهض أحدهما لبعض شانه فيجم الآخر وينفرد وربما عرض له الفكر فلا يكون لجليسه من تخلفه في مؤانسة وليس كذلك أمر الثلاثة وعندي الاربعة أحسن لان الثلاثة اذا اشتغل الاثنان بالحديث لا يعرف الثالث سببه وابتداءه يحتشم لاحالة ويمقت نفسه والاربعة يتكافؤن فهم أركان المجلس وفي الاربعة يقول بعض الكتاب

ثلاثة أصفيهم هواني * كأنهم كواكب الجوزاء
عطاردیون يرون رأيي * كأنما هواؤهم هوائي

وانما ذكر ثلاثة هو رابعهم وقال آخر

ثلاثة يجمعوا لي في ثلاث مني * وكنت رابعهم يوم الثلاثاء

وقال آخر في الثلاثة

اخلاك تدعونا اذا ما دعوتنا * دعاءيم ود مبتغين على نهر
فلا خير في الندمان الا ثلاثة * سواء كما مثال الاثافي من القدر

وقال آخر في وصف النداماى من واحد الى سبعة

ان المعاقر كأسه متفردا * من صحبه نحس لئيم أرجس
واثنان يشتد الندام عليهما * وثلاثة بهم يطيب المجلس
ولقد يلذ حديث أربعة لهم * فيطيب مجلسهم معا والانفس
والغاية القصوى أراها خمسة * في دورهم نفس لمن يتنفس

واذا هم كثروا فصاروا ستة * عطشوا لحبس الكاس ساعة يحبس
واذا تجمع سبعة في مجلس * سفهت لهم دون السعود الانفس
وظلمت في سوق المرا معسكرا * وترى حلومهم بجهل تخلس

و يتجوز المعاشرون في الطعام ولا يتحملون كدر الشراب وغلظه و يسير الرائق الجيد من الشراب يعفى على مقصر الطعام والكثير من غليظ الشراب يفسد كل ما يولغ فيه من شريف الطعام و زمان المشاربة أطول من زمان المؤاكلة وقال الحسن بن هانئ في مدح رائق الشراب وذم غليظه

من شراب كأنه نظر المعشوق في وجه عاشق يابتسام
لا غليظ تنبو الطبيعة عنه * نبوة السمع عن شنيع الكلام

وقال الوليد بن عبيد البحتري

تركت مشمس قطربل * وبرعثنا دقل الدسكره
اذا صب مسودة في الاناء * فكاس النديم به محبره

وقال علي بن العباس الرومي

على أحمد من الدوشاب * شربة نفست سواد الشباب
لو تراني وفي يدي قدح الدو * شاب أبصرت بازيا رغراب

ولي في هذا المعنى

لابي الفضل شراب * جيد ليس يعاب
هو في حال طعام * وهو في أخرى شراب

باب السماع

فاما السماع الطيب فلو اقتصر به عليك داعيك من دون كل

ما كول ومشروب لقضى حقك واحسن معونتك وتعويضك ويشهد بتحقيق ذلك خبر الداعى فى البيتين اللذين سمعه سامع يتغنى بهما وهما

وكنت اذا مازرت ليلى بارضها
أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من اللفرات البيض ودجلتيها
اذا ماقضت احدوثة لوتعيدها

فاطرب به وأعجبه حتى مال اليه فاستعاده فاعادهما وقال والله لو كان عندى قرى ما أعدتهما وقال آخر

لابى جعفر سماع عجيب * جمع اللهو فيه والاطرابا
فالنداما به غنيون عن ان * يبتغى مطعما لهم وشرابا

وذلك أن الغناء شئ يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالح الجسم كما أن لذة الماكول والمشروب تخص الجسم دون النفس (وقالت) الحكماء الغناء فضلة فى المنطق أشكلت على النفس فاخرجتها ألحانا فاقول انها الى الالحان أميل اذ كانت هذه سبيلها أشد اصغاء منها الى ان قد تميزلها وصح معناه عندها من سائر منطقها حرصا على معرفة غامضها وشوقا الى استفتاح منغلقها وهى الى تعرف مالم تعرف اتوق منها الى ماقد عرفت وكذلك المثل العجيب والبيت النادر كما صدق معناه ولطف حتى يحتاج الى اخراجه بغوص الفكر عليه واجالة الذهن فيه كانت النفس بما يظهر لها منه أكثر التذاذا وأشد استماعا مما تفهمه فى أول وهلة ولا يحتاج فيه الى نظر وفطنة وليس الا الشعر فهو بعد غايتها (وأقول) أيضا كما أن الالحان

اشرف

أشرف المنظوم فكذلك النفس الطروب اليها المستخف لها أشرف الانفس وكل ذى ذهن لطيف ونفس فاضلة أحرص على السماع وأحن اليه بالمشاكلة (وكتبت) الى بعض من كان يزهد فى السماع

ان كنت تنكر أن فى الالحان فائدة ونفعا
فانظر الى الابل التى * هى ويك اغلظ منك طبعا
تصغى لاصوات الحدا * ة فتقطع الفلوات قطعا
ومن العجائب أنهم * يظمونها خمس وربعا
فاذا تو ردت الحيا * ض وشارفت فى الماء كرعا
وتشوقت للصوت من * حاد تصيخ اليه سمعا
ذهلت عن الماء الذى * تلتذه بردا ونقعا
شوقا الى النغم التى * أطربنها الحنا وسمعا

وحق من أمتعك بسماعه واشركك فى اخص لذاته وسوى بينك وبينه فى استماع نغمه من لعله يغار عليه من ظله ان تجعل نوابه على هذه التكرمة غض طرفك عن الجهة التى تلى الستارة والناحية التى تاتى منها النغمة حتى لا يكون باطن الستارة باخفى عنك من ظاهرها ولا تحتاج ان يخرج بك الطرب عن حد الحرية والادب فتلج بالاقتراح وتحقق بالعلم بالغناء والحذق بالاعراب فتتبع العثرة وتترصد الهفوة فان سمعت مجازا لحنته وان مر بك زحاف عيرته ووزنته وقد قيل النصح بين الملا تقريع ومن قل علمه كثر رده والعربية أكثر من أن يحيط فيها متكلم وأنفس القينات أمية

ومعهن أنقة وحمية فمن استعمل معهن هذا فهو ابدا عليهن ثقيل وعندهن مقيت لا يعدم أن تراقبه الواحدة وتكايده فتعالل ان حضر وتعدل عما استحسن فتقطع الصوت عند اتصاله وتتربص بجيد الغناء لانصرافه ولبعض أصحابنا في غض الطرف عن الستارة

انى على ما فيّ من * عهد الشبيبة والنضاره
لأغض من طرفي وما * بقي النديم على الستاره
وأعف خلق الله عن * جار أصافيه وجاره

(وكتبت) الى بعض أصدقائنا وكان له سماع مطرب وغيرة مفرطة

ان شئت فاستر على سماعك أو * ان شئت يوما فعطل الستارا
فان عندي من العفاف ما * تحمده منظرا ومختبرا
أمكن أذني من السماع ولا * أمكن ألحاظ عيني النظرا

باب المحادثة

فاما سبب النديم الذي هو رأس ماله وأنفس أعلاقه فهو المحادثة وهي أخف اللذات مؤنة وأقلها اتعابا للحاسة وقد قيل لشيخ فان ما بقي من لذاتك قال استماع الملح (وقال) المهلب العيش كله في الجليس الممتع وجود علي بن العباس الرومي

وسئمت كل ما أرى * فكأن أطيبها خبيث
الا الحديث فانه * مثل اسمه أبدا حديث

وسألت فتن وهي جارية أريبة كانت من أدب الجواري في زمانها

مسلما المعروف بالمتيم فى مذاكرة جرت بينهما طويلة فقالت
أى الامور عندك ألذ واشهى محادثة الرجال أم استماع الغناء أم
الخلوة بالنساء فقال سألت عن أمور لاتحسن محادثة الرجال الا
بحسن التفهم ولا الغناء الا بشرب النبيذ ولا الخلوة مع النساء
الا بالموافقة وسعة القدرة قالت فاى الثلاثة تختار قال محادثة
الرجال ومثل قوله لاتحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم
قول الآخر تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وحسن
الاستماع امهال المحدث حتى ينقضى حديثه وقلة التقلب الى
الجواب والاقبال عليه بالوجه والنظر والوعى لما يقول وان تصغى
الى حديثه ولاتشغل طرفك عنه بنظر ولا أطرافك بعمل ولا قلبك
بفكر ولا تسابقه الى حديث يبدأ به لمعرفتك بذلك الحديث
بل تريه من الارتياح له والتعجب منه ما توهمه أنه لم يخطر ببالك
ولا وقر فى سمعك وأمتع الناس حديثا أحسنهم افهاما ومن أدب
الحديث أن لايقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وان يتوصل الى
اجتراره بمايشاكله ويسبب له مايحسن أن يجرى معه فى غرضه
حتى يكون بعض المناوضة متعلقا ببعض على حسب قولهم فى
المثل الحديث ذو شجون يعنى بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد
الى معان كثيرة وأن لاتبتدئ حديثا ثم تقطعه وتعد باتمامه كأنك
روأت فيه بعد ابتدائه ولتكن التروئة له قبل التفوه به فان احتجار
الحديث بعد ابتدائه مخف ولا يتسع للنديم من العذر فى اكثار
الصمت مايتسع للكاتب لان ذلك ينزل من الكاتب على الفكر فى

تدبير الاعمال وتظم الامور والانتظار لان يسئل فيجيب أو يستشار فيصيب وهو من النديم عى وانقطاع وقلة امتاع كما قال بعض أصحابنا

وصاحب أصبح من برده * كالماء فى كانون أو فى شباط
ندمانه من ضيق اخلاقه * كانه فى مثل سم الخياط
فادمته يوما فالفيته * متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد أوهمنى أنه * بعض القتيل الذى فى البساط

وقال بعض العلماء اذا لم تكن المحدث أو المحدث فقم ومع ما قلناه من اكثار النديم الحديث فاحلى لحديثه وأحسن لوقعه أن يتجنب منه الطوال ذوات المعانى القلقة والالفاظ الوحشية التى يضيق باقتصاصها زمان المجلس وتتعلق بها النفوس وتحبس على أواخرها النفوس فان ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص ولم يزالوا يستحسنون الاحاديث بالقصر كقول امرئ القيس

وحديث الركب يوم هنا * وحديث ما على قصره

وقال آخر

اذا حسن الحديث فضنينه * ومنينا أن الحديث يعاد

وقال عبد الله بن المعتز

بين أقداحهم حديث قصير * هو خمر وما سواه كلام

وقال آخر

كم من حديث قصير لى أصيد به * قلب الفتاة وأشعار أسديها

وقال آخر لا تجعلوا مجلسكم حديثا كله ولا انشادا كله ولكن

امن جوه واجعلوا له من كل شئ نصيبا * ومن أدب الحديث أن لا يكثر المحدث التبسم والقهقهة * وقال نجاح بن سلمة للمتوكل لما دعاه الى منادمته في خصال لا تصلح معها منادمة الخلفاء قال وما هي قال سلس البول وأتبسم اذا حدثت ولا أقدر من الشرب على اكثر من رطلين فقال له من حق صدقك عنها ان نسامحك بها فخصاها * وقد اختلف رأيهم في موقع الحديث على الطعام فاستحسنه قوم وكرهه آخرون وهو من صاحب المنزل والمائدة أحسن منه من الاكيل والزائر كما قال بعضهم

صادف زادا وحديثا ما اشتهى * ان الحديث طرف من القرى

(ويستجاد قول بعض المحدثين)

كيف احتيالي لبسط الضيف من خجل
عند الطعام فقد ضاقت به حيلي
أخاف ترداد قولي فاحشمه
والصمت ينزله مني على البخل

(واكل) عندي بعض الجان من النبيذين فسمعني وأنا أحمد الله عز وجل في وسط الطعام لشئ خطر ببالي من نعمه التي لا تحصى فنهض وقال أعطى الله عهدا ان عاودت وما معنى التحميد في هذا الموضع كأنك أردت ان تعلما انا قد شبعنا ثم مال الى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالا

وحمد الله يحسن كل وقت * ولكن ليس في أولى الطعام
لانك تحشم الاضياف فيه * وتأمرهم باسراع القيام

وتؤذنهم وماشبعوا بشبع * وذلك ليس من خلق الكرام
ولست أرى بالحديث من الزائر والمزور بأسا الا أن أحسن حديث
النديم على الطعام وأليقه بالحال التى هو فيها أن يكون فى معنى الطب
وذكر الاغذية ومحمودها ومكروهها فان أحس من صاحبه بخلا
صلح أيضا أن يذكر له ما رفاعما جاء فى تخفيف الطعام والتماؤمنه
والاخذ بمقدار الحاجة اليه وما يقيم الجسم دون ما يتعرض به للتخمة
وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اجعلوا البطن اثلاثا ثلثا طعاما
وثلثا شرابا وثلثا نفسا ثم مثل قول مقم بن نويرة

لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات اروعا

يريد أنه كان يؤثر الاضياف بالزاد على نفسه وهو لا يستوفى منه
شبعه وقال المبرد لانه كان يؤخر العشاء الى الليل انتظارا للطارق
وقول حاتم

وانى لاستحيي رفيقى أن يرى
مكان يدى من موضع الزاد بلقعا
وكنت اذا أعطيت بطنك سؤله
وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وقول الآخر البطنة تذهب الفطنة وقول الآخر عاهة الشبع
أشد من عاهة الجوع وقول بقراط الاقلال من الضار خير من
الاكثار من النافع ثم ان استشاره فى نقل أو عشاء لم يشر عليه
الا بما لطف من النقل وحاد به عن الطعام وخون عاقبته وان كان
مضيافا كولا ذاكره بما يحبه ويشاكل مذهبه فى احماد قوة الشهوة

للاكل والاكثار منه وما فيه من اللذة كقولهم الاطيبان الاكل والنكاح وكقول الآخر

حسن اكل الفتى يدل على ايـ ـتناسه ضيفه وبسط اكيله
وتراه يقل منه فيدعو * ذاك أضيافه الى تبجيله

(وحكى) أن الحجاج أصبح جائعا فقال لجلسائه ما خير الغداء فقال ابن القرية تواكره أيها الامير قال ولم ذلك وهل هو كذلك فى كل أوان قال نعم ان كان الزمان شتاء فلطول الليل وهضم المعدة للطعام وان كان قيظا فلبرد الماء وقلة الذباب

باب غسل اليد

قد اصطلح الناس على اجلال رؤسائهم وملوكهم عن غسل أيديهم بحضرتهم واستجاز واذلك مع نظرائهم ومن يسقط التحفظ بينه وبينهم ولو آثر الناس الاعتزال لغسل الايدى من الغمر مع كل طبقة حتى لا يرى بعضهم بعضا لكان ذلك عندى أليق بالظريف وأشد امكانا لما يحتاج اليه من استقصاء الغسل والمبالغة فى التنظيف واجالة الانامل فى اللهوات والخلال فى الاسنان وتفله وما أشبه ذلك مما لا يشك أحد ان ستره عن عين المحب والمبغض والرفيع والمتواضع أحمد من اطلاعه عليه ومحال ان يكون الرؤساء والملوك ذهبوا غير هذا المذهب وأن يظن بهم فيه الكبر ويوهم عليهم العجب وأن المرء يتأذى أن يرى ذلك من نفسه فكيف من غيره وربما يحسن الرئيس ويجمل فيقول لنديمه اغسل يدك مكانك

ولا تنزعج فالغبي يتفهم ذلك والفطن يأباه ويغلب الادب فيخف على الادب ويستفيد الحظوة ويأمن الاول التثقيل فيثقل ولو كان الحكم في هذا يوجب من الترتيب فيه والاجتماع عليه مثل ما توجبه المؤاكلة لحسن أن تجتمع الايدي في الطست الواحدة كما تجتمع في مائدة واحدة هذا بعد الطعام فاما قبله فجائز أن تغسل اليدين بين يدي الرئيس والنظير في طست واحدة وغسل رجل مع المأمون يده وابطأ الطعام فسبقته يده الى رأسه فقال له المأمون أعد غسل يدك وقال لا بلى غسل اليد الا الخبز وقال رئيس سنن العرب المضمضة والسواك والاستنجاء ورئيس سنن العجم الخلال وغسل اليد قبل الطعام وسبيل رب المنزل ان يبتدئ بغسل اليد فيكون أولا قبل الطعام وآخرا بعده ينقي في الاول حشمتهم وفي الحالة الثانية يتوخى تجميل اماطة اذى الغمر عن أيديهم هذا مع الاكفاء والمعاشرين فاما العظماء من ذوي السلطان فالاولى بمنادمتهم المبالغة في التخفيف عن أعينهم وقلوبهم والتناهي في اعظامهم وتجميلهم فاما الخلال والانفراد به والتخلي له فاصون وأحسن على كل حال

باب ادارة الكاس

فاما حكم الكاس في ادارتها فان الادب فيه موافق لسنة الاسلام ومذهب الجاهلية لم يغيروه ولم يبدل به لانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه أتي بسقاء من لبن فشرب منه وكان عن يمينه غلام حدث السن وعن يساره رجل من مشيخة أصحابه فدفعه عليه السلام الى

الغلام وقال الايمن فالايمن ومما يدل على مذهب الجاهلية في مثل هذا قول عمرو بن عدى وجماعة من العلماء ينسبون ذلك الى عمرو ابن كلثوم

تحيد الكاس عنا أم عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شبر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

باب الاكثار والاقلال

ومما يغلط فيه أكثر المنادمين وجمهور المتعاقرين افتتاح الشرب بالقدح الصغير والترقى منه الى الكبير وهم بالابتداء بالكبير في حال جماهم وحاجتهم الى هضم طعامهم وأبين مجلسهم أولى حتى اذا تروحوا وانتشوا كانوا بالنزول الى الصغير أولى وبالابقاء على عقولهم أحرى وربما لم يكن غناؤهم ممتعا فيغنى تجميلهم الطرب بالكبير على تقصيره ويغطى ارتياحهم على عيوبه ولو صادفهم على غير تلك الحال لحقهم الفتور وقل نشاطهم للكبير فاما الاكثار والاقلال فليس النديم فيهما مختارا ولا علمنا أحدا تبين منه كبير بخل على النبيذ والاغلب على أكثرهم اجبار النديم على الشرب والحيف عليه واستثقاله اذا تأبى واستنع أو تمنع ولا عيب على النديم في السكر اذا كان مجبورا عليه كما وصفنا وتغفر له فرطاته وعثراته كما قال العطوى

فمن حكمت كاسك فيه فاحكم * له باقالة عند العثار

وكما قال على بن الجهم

والقوم اخوان صدق بينهم نسب * من المودة لم يعدل به نسب
تنازعوا درة الصهباء بينهم * وأوجبوا الرضيع الكاس ما يجب
لا يحفظون على السكران زلته * ولا يريبك من أخلاقهم ريب

والاصل في هذا ما يحكى عن المأمون من قوله النبيذ بساط فاذا رفع فاطلبوه الا أن يكون النديم هو المستدعى للشرب والواصل للطلب من غير ثقة منه باحتمال ذلك فيلزمه التبعة وتعصب به الجريرة فاما الرئيس ذو الملك والامر النافذ فلو كان السكر أو مقاربته حلالا لا اختلاف فيه لكان عليه حراما لا اختلاف فيه لان بادرته الى نفسه وغيره لا تستقال وأمره لا يراجع لانه يقهر ولا يقهر ويحجر ولا يحجر عليه وقلما سمعنا بحادثة فظيعة وغدرة قبيحة وسطوة عظيمة استجازها ملك وجناها على نفسه أو نديه أو حميمه أو سائر من يخصه الا على سكر ثم يقع عليه بعد ذلك الندامة ويلحقه ما لا يتلافاه من العار والمسبة فمن تهيأ عليه ذلك من ملوك الجاهلية جذيمة بن مالك الابرش صاحب الحيرة وخبره مشهور ومن ملوك الاسلام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فانه لم يزل يهمل الامور ويواصل السكر مصطبحا ومغتبقا حتى انتشر أمره واضطرب حبله فقتل وجماعة كثيرة كان السبب في هلاكهم وهلاك من يخصهم اختيارهم السكر ومطالبتهم به ندمائهم ولو ذهبنا الى تعدادهم وشرح قصصهم لخرجنا بالكتاب عن حده

باب طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ

ويقبح

ويقبح بالنديم ان يستميح الرئيس على سكره فانه يرى ان ذلك يجرى
مجرى الخديعة ويدخل فى باب الحيلة وذكروا ان بعض الاجواد
لم يكن يعطى أحدا على الشراب شيأ حتى يعصوا شفاها من أن
يقال ان السكر حداه على السماحة وكان ذلك فيه عارضا فان عدل
عن المسئلة فى أمر نفسه واستماح لغيره كان ذلك داخلا فى باب
حسن الحضر والحض على الكرم وخرج عن باب التفهم واللؤم
فانه يقال ان كثرة الاخذ لؤم كما ان كثرة الاعطاء كرم وكان العتابى
واقفا ببابب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له العتابى ان رأيت أن
تعلم أمير المؤمنين مكانى فقال لست بحاجب فقال قد علمت ولكنك
ذو فضل وذو الفضل معوان فقال له سلكت بى غير طريقى فقال له
ان الله عز وجل قد أتحفك بجاه ونعمة وهما مقيمان عليك بالزيادة
ان شكرت وبالتغيير ان كفرت وأنا لك اليوم خير لك منك لنفسك
أدعوك الى ما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك على ولكل شئ زكاة
وزكاة الجاه بذله للمستعين فدخل الى المأمون فاخبره الخبر فامر
للعتابى بثلاثين ألف درهم فاما اذا لم يشب الجالسة والمحادثة النبيذ
والمراضعة ودفعت ضرورة الى المسئلة فالاحسن فى ذلك أن لا يبتدئ
بالسؤال محضا وان يتوخى له من الاحاديث والمعاريض ما يندرج
السؤال فى تضاعيفه على ألطف ما يمكن فى ذلك وأقربه من النادرة
والفكاهة كما فعل المفضل الضبى وبايت المهدى فلم يزل يحادثه
ويناشده حتى جرى ذكر حماد الراوية فقال له المهدى ما فعل عياله
ومن أين يعيشون قال من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد

باب هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه

وحكمه ان يحضر بزى الموكب ولبسة الخدمة والزى الظاهر الذى يعرف به ويشهد فيه المجالس الحافلة من غير أن يتفضل بشئ من ثيابه ولا يتشهر فان شاء الرئيس أن يغير زيه ويكرمه بشئ من ثيابه خلع عليه الملون والمشهر من اثواب الندام حسن أن يلبس ذلك فى وقته حتى ينقضى المجلس ولم يحسن أن يحضر فيه ظاهرا فى مجلس آخر لانه شئ كان الرئيس اختاره فى ساعة طربه وتبذله لا فى كل أوقاته فاما العمامة والخف فسبيله أن لا يخل بهما وله أن يلطفهما ويخففهما وانما الغرض فى ملازمتهما أن لا يحسر الرأس وتبدو القدم ويذهبون بذلك الى اجلال السلطان العظيم عن مشاركته فيما اتسع له من التبذل والتغير فى الزى الذى لا مشقة ولا ثقل فيه والانفراد منه بما ينفصل به عمن هو دونه وهذا مما يسلك فيه سبيل ملوك الاعاجم وكانوا رسموا لكل طبقة من طبقات أهل ممالكهم رسما من الزى ليتميزوا ولا يشتبه سوقة بملك ولا دنى بشريف ولا تابع برئيس ولكل أهل عصر زى الا أن الاكثر والاشبه بأهل عصرنا وما قرب منه ما ذكرنا والحجة فى استحسانه وايثاره ما بيناه ومما يأخذ به نفسه الاسراع فى الخطو اذا كان حيث يراه الرئيس حتى تكون مشيته ارقالا ولا تكون اختيالا ولهذا وما أشبهه من التحفظ صار ندام النظير أنعم وأترف وان كان ندام العظماء أجل وأشرف وخبرت عن الطبقة العالية من ندماء الخلفاء الماضين انهم كانوا يجتمعون

فى منزل أحدهم فاذا مشى بعضهم فى ذلك الموضع مشى مسرعا
وسئل أحدهم عن السبب فى ذلك فذكر انه انما يفعله فى كل
موضع وان كان لا يلزمه الا فى مجلس الخليفة حذرا من أن يخل
بالعادة فيعدل عنها فى موضعها فاستحسنت تلك الرياضة ومما يلزمه
أن يتحفظ منه أيضا ويروض نفسه به أن لا يصجه ولا يسبه ولا يشتمه
ولا يستخبره وانما ترك ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب وليس
من حق المنادم ذا الرياسة والسلطان اذا تبين لنديمه منه لين الخلق
وطاء الكنف وخلع ثوب الكبر أن يستعمل معه من الدالة
ما يجحده حق رياسته ويقدح معه فى سلطانه ويفسد عليه تدبيره
ويقال ينبغى ان خص بالسلطان ان يستعد للذنب ليجتنبه وأن
يكون آنس ما كان به أوحش ما يكون منه فان سلم من ذلك كله
فواجب ليه أن لا يخل بتوقى الملال والتحرز من وقوعه وقد قال
عبد الله بن جعفر من أعظم الخرق الدلالة على السلطان وبينا
المأمون ينادم ابراهيم بن المهدى بعد رضاه عنه وتغمده ما كان منه
تبين منه دلالة اذكرته بما تقدم من ذنبه فنهض وأمر باقراره ومن
كان معه على جماتهم ثم صار الى مجلس جده فاستوى على سريره وتزيا
بزى الخلافة واختصر القضيب وتجلبب بالبردة ووضع الجنود فى
السواد والاسلحة وبعد السماطان وشهرت السيوف والاعمدة
ثم احضر ابراهيم معنا معصوفا فلما مثل بين يديه اطرق عنه ملیا ثم
رفع رأسه وابراهيم يرعد فقال يا ابراهيم ما حملك على ما كان منك قال
كرمى خلا من صاحبه يا أمير المؤمنين فكنت جديرا بحفظه عليه

حتى أعاده الله اليه وقد سبق من عفو أمير المؤمنين ما لا أخاف عليه
الحؤول عليه فقبل عذره وأحسن جائزته ورده الى مكانه وعاد
المأمون في مجالس الندام من وقته (وخبرني) أبي عن أبيه رحمهما الله
قال كان ينادم اسحق بن ابراهيم الطاهري جوهري من جلة التجار
ووجوههم حتى خص به وتبين لطف موقعه منه ولم يكن أحد
يتقدمه عنده وكانت فيه دالة ومعه أدب يستحق له تلك المنزلة قال فانه
لمعه ذات يوم والستارة منصوبة اذ وصف للمتوكل فص كبير جليل
المقدار كان وقع الى هذا الجوهري فوقع الى اسحق باحضاره هذا
الرجل ومطالبته بالفص ومناظرته على ثمنه ووافى التوقيع فلما
نظر اليه دعا بالجلادين والسياط فامر بتجريد الرجل فقال أيها
الامير ما قصتي ما سبب فلم يذكر له شيأ حتى نصب بين العقابين وكاد
السوط أن يأخذه فلما علم انه قد رهب وسكر قايه من الرعب
والهيبة ما انساه الدالة والمنادمة قال له فص عندك من حاله وصفته
فقال احضره الساعة فامر الامير باطلاقه حتى اتيه به قال لا سبيل
الى ذلك فدعا بدواة وقرطاس وكتب وهو في تلك الحال الى ثقته
في منزله برقعة قوية وأمر باحضاره الفص فاحضر في منديل
وختم عليه وأنفذه ثم قام بنفسه الى الرجل فتولى حل وثاقه
واعتنقه وخلع عليه من فاخر كسوته وقال لم يكن من حق السلطان
الا ما رأيت ولولم أفعل ذلك لما أمنت دالتك ولا كنت تخرج مثل
هذه العقوبة النفيسة بقبيح اعطافك ولحقني من امير المؤمنين
ما يفسد حالي وحالك فسكن الرجل الى عذره وقبله

باب ما يلزم الرئيس لنديمه

قد ذكرنا من حال الرؤساء فيما يستبدون به دون ندمائهم بحل السلطان وخطر الرياسة ما أوجزناه وليست تلك الحال خاصة الا للملك الاجل الذى لا يسعه الاخلال بالهيبة فاما من دونه فالانصاف فى المنادمة واغلاق باب التدفع والتحفظ وايثار الانبساط والتبذل أولى بهم وأدل على كرم العشرة وحسن الصحبة وعلى انه قد كان من الخلفاء والامراء من يتوخى هذه الحال مع مجالسيه ومنادميه كنحل عمر بن عبد العزيز وطرقه ورجاء بن حيوة فنهض فاصلح السراج وعاد الى موضعه فاكبر ذلك رجاء فقال قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر * ويزيد وكان ينادم الاخطل وهجا الاخطل الانصار هجاء كثيرا فاجاره منهم وكان يسوى بينه وبينه فى أكرم المواضع من مجلسه وهو أمير * والوليد بن عقبة ولم يزل ينادم أبا زبيد الطائى والياً ومعزولا على وتيرة واحدة من الانصاف لا ينتقل عنها ويجله ويعظمه ولا يقدم أحداً عليه حتى هلك أبو زبيد فوجد عليه وجداً شديداً ثم اعتل فيقال انه دفن الى جانبه وصرير بقبريهما أشجع ابن عمرو السلمى ومعه صديق له يقال لهما حمزة وسعيد فوقف بهما ثم قال

مررت على عظام أبى زبيد * رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد دنوى فاضحى * مجاورة قبره قبر الوليد
وما أدرى بمن قصر المنايا * بأشجع أو بحمزة أو سعيد

فيقال انهم ماتوا على هذا النسق اولا اولا * والوليد بن يزيد بن عبد الملك نديمه أبو كامل الذى يقول فيه

من مبلغ عنى أبا كامل * أنى اذا طاغيت كالذاهل

وحكى عن الرشيد من حسن الجالسة ولطف البر فى الموا كلة ما يجاوز هذا كله وهو ان الفزارى قال دخلت اليه بالرقة فى قصر الخشب ولم يكن معه ثالث غير من يقوم بين يديه من خاصة حشمه فتحاورنا مليا ثم أومأ الى بعضهم فجاء بطبق كبير مغطى بمنديل فاستخرج رطبة فاكلها ثم استخرج أخرى فاومأ بها نحوى فقمت فتناولتها وقبلت يده ثم أمر برفع المنديل فلما رفع لم أر فى الطبق شيأ فقال انه كان فيه رطاب أهدى لنا من العراق ولا تحين الرطب ولم يكن فى غير ما رأيت فعلمت انه أمر بتغطيته لئلا أرى قلته فامتنع من أكل الرطبة التى ناولنيها ووفرها عليه * وقد رأينا جماعة من جلة الرؤساء وعظماء أصحاب السلطان يبتذلون أبناءهم ويتهنونهم فى الخدمة فيما يرفعون عن مثله بعض عماليكهم فاذا خلوا معهم للمنادمة استوت بهم العشرة فاوسعوهم من المبرة والتكرمة وربما تجاوزوا فى ذلك الحد فخدموهم وأخدموهم أولادهم واتصبوا وأنكحوهم وتأخروا فى المجلس وصدروهم فلا يقدح ذلك فى رياستهم ولا يحط من منزلتهم بان تسترق لهم قلوبهم ويستخلص به نياتهم وأنشدنى منشد

فتى اذا ما الحرب قامت به * قام مقام الاسد الورد
كأنه عبد لاخوانه * وليس فيه خلق العبد

وقال

(وقال آخر)

وانى لعبد الضيف مادام نازلا * ومانى الا تلك من شيم العبد

ويلزمه أن لا يسقيه من غير ما يشربه الا باختياره واستدعائه شرابا يستطيبه ويرى أنه ملائم لجسمه فيسقيه مما يلتمسه من موجوده ولا يمنعه كل ما يستزيده من المزاج ٣ ولو لم يتجنب ما ذممناه فى تلوين الشراب الا الملل لكان فى هذا المعنى من قول الشاعر

رأيت نبيذين فى مجلس * فقلت لاخوانا ما السبب

فقالوا الذى نحن فى بيته * يفضل قوما لسوء الادب

وقال العطوى

نبيذان فى مجلس واحد * لتفضيل مثر على معسر

فلو كنت تفعل ذا فى الطعام * لزمت قياسك فى المسكر

وكان بعض الكرماء يأخذ نفسه باحضار الدن بطينه فيصبه حيث يراه اخوانه رضا دموه فيزله بين أيديهم ويملأ منه الآنية حتى يتبينوا ان الشراب واحد لا خلط فيه * ومن أبين الانصاف فى هذا الباب ان يفرد كل نديم بآلته ومزاجه ويحكم على نفسه ويقلد ساقيها على حسب طاقته واحتماله الا من كان منجما لا غير متسع فى الآلة والآنية فهما أعجزه وتعذر عليه من ذلك فان العدل فى الساقى يمكنه ولا يعجزه ويستحسن لابى نواس نحو هذا

ولست بقائل لنديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيه

تناول لها والا لم أذقها * فيأخذها وقد ثنيت عليه

ولكنى احيد الكاس عنه * وأتركها بغمزة حاجبيه

٣ قوله ولو لم يتجنب ما ذممناه الخ هو اب لو محذوف تقديره ولكنى مثلا

فان طلب الوسادلنوم سكر * دفعت وسادتى أيضا اليه

ومثله قول السرى بن عبد الرحمن فى ظرفاء من الحجازيين

اذا أنت نادمت العتيد وذا الندى
جميعا ونازعت الزجاجة خالدا
أمنت بحمد الله ان تقرع العصا
وان يوقظوا من نومة لسكروا قدا

وخالف الحسين الضحاك أبا نواس فى اباته فقال

يا مدير الكاس حييت على الكاس مديا
سأقول الدهر أحسنت وان كنت مسيا
لست استعفيك من حيث فى السقى عليا

وفيها يقول

قد حلبت الدهر طورا بين خليا وشجيا
فارى من عدم الصبوة والكاس شقيا

وجود بعض الكتاب فى قوله

ولست بمستعف من السكر صاحيا
اذا كان يهوى ان اصير الى السكر
ولكننى أسعى الى السكر وائدا
بما فيه ان اخطأت من سعة العذر
وان هو أعيانى سكرت ولم أكن
لاكثر من شرب يزيد على القدر

باب الادب فى الشطرنج

واما الشطرنج فليس غرضنا ذكر فضائلها فنعدد من ذلك ما نسهب فيه ونأتي بما ذكره المتقدمون ونجتهد في الزيادة عليه وانما نتوخى التنبيه على ما يحتاج اليه النديم في حال اللعب بها من الادب الذي يقرب به من قلب رئيسه عند مقابلته اياه بجمعتين على الشطرنج فانه لا يكون بينهما الا مساحة الرقعة ولعلها لا تزيد على الذراع كثيرا والزمان بينهما يطول فيها فواجب على النديم ان يتحفظ من نفسه ويتعهد من احوال ظاهر جسمه وباطنه وشاهده وغائبه ما يامن معه أن يسبق الى طرف الرئيس وانفه من جهته حال يذمها وليكن على اوكد ثقة بنقاء فيه من الخلوف وتوبه من الدنس ومغايبه من الدرن بتوفية هذه الاشياء حقها من التنظيف والتطييب وليس حق نفسه عليه اذا كان عالي الطبقة ان يخسها حظها ولا يحطها عن درجته توهما ان تماديه للرئيس ألطف لمنزلته عنده وأعطف بقلبه عليه كما انه ليس من الرئيس المصطفى له عليه أن يتصور بصورة من يغالطه ويسخر منه باعطائه ما ليس له وعلى ان عقول الرؤساء أقوى وفطنهم أرق من أن يجوز عليهم مثل هذا ولم توضع الشطرنج على الانصاف والعدل ويدلك على ذلك ان أصلها التكافؤ والقيام اذا وفى النظر والحساب من كلا الجهتين حقهما وأخبرني أبو الحسين علي بن أحمد الكاتب ان أبا بكر الصولي لما حضر مجلس المكتفي بالله أمير المؤمنين في ابتداء دخوله وكان قبله الماوردي أثيرا عنده مقدما من قلبه محببا بلعبه فلما لاعبه الصولي بين يديه جعله حسن الرأي في الماوردي والالف له على نصرته وتشجيعه

وتنبيهه حتى أدهش ذلك أبا بكر في أول وهلة ثم لما اتصل اللعب بينهما وقصد أبو بكر قصده غلبه غلبا لم يكد يرد عليه معه دستا وتبين الحق للمكنى فعدل عن الهوى وقال للماوردي صار والله ماورد لك بولا * وبلغني أنه رأى بساتين مونقة وزهرا حسنا فقال لجلسائه وندمائه هل رأيتم منظرا أحسن من هذا فكل قال فيه شيأ ذهب فيه الى مدحه ووصف محاسنه وانها التي لا يفي بها شئ من زهرات الدنيا فقال ذهب الصولي أحسن من هذا الزهر ومن كل ما تصفون * ومما يستعمل على الشطرنج النوادر المدهشة وأقول انها في تلك الحال بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله المقاتل عند اللقاء والحادي عند الاعياء والمائح عند الاستقاء فهي من عدة اللاعب كما ان الشعار والارتجاز من آلة المحارب وقد قيل في ذلك

كم من ضعيف اللعب كانت له * عونا على مستحسن القمر

ولست أستحسنها الا في موضعين * أحدهما عند وقوفك على الضربة الغريبة الحسنة الدقيقة وامكانها اياك بان يكون اللعب لك وفي يدك مثل الشجاع الذي اذا رأى مساغا نابيه صمم وان شغلت نفسك بتلك الاعاجيب وانت محتمل للعب مرتا للغلب انقطعت بذلك عن الصواب وان لم يكن اللعب في يدك نبهت بما يظهر في ذلك العبث من نشاط خصمك على تصفد مالاح لك فتحرز منه * والآخر عند وقوفك على امكان الضربة الجيدة صاحبك وتهيئها له دونك فانت بما تستعمله في تلك الحال تشغله وتدهشه حتى يكاد يعمى عن رشده واذا كان القمر لك فاحسن احوالك الترك على الاحسان ان كنت مختارا وكذلك ان

اتصل

اتصل القمر عليك لان الالحاح واللجاج لا يزيدك الا بلادة وقد قيل
في الشطرنج اشعار كثيرة فأما طوالها فكثر فيه الحشو بما اضطر اليه
القائل من الاقتصاص وقلما اقتصت حال في شعر الا كان مضعوفا
الأبياتا كثر الشك فيمن تعزى اليه وأولها

أرض مربعة حمراء من أدم
ما بين خلين موصوفين بالكرم
تذاكر الحرب فاحتالا لها شبها
من غير أن يأتيا فيه بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على
هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى خيل جاشت بمعرفة
في عسكرين بلا طبل ولا علم

وأبياتا تعزى الى أبي الحسين أحمد بن محمد بن ابي البغل الكاتب وهي

في نصب الشطرنج كيما يرى بها
غرائب لا تسمو لها عين جاهل
فابصر أعقاب الاحاديث في غد
بعين مجد في مخيلة هازل
وأجدى على السلطان في ذاك أنه
اراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته
شبيه بتصريف القنا والقنابل

قوله فعل تحرك بالواو والاولى ان معصمة

وغاما النرد ففيها نوع من اللعب وصنوف من الترتيب والنصب الا ان عدد البيوت واحد لا نقص فيه ولا زيادة على الاصل المتعارف والفصان فيها محكمان وصاحبها مع ذلك وان لم يكن مختارا وكان منقادا الى حكم الفصين محتاج الى ان يكون سريع النقل رشيقه صحيح الحساب مصيبه حسن الترتيب جيده ولبعض الادباء فيها أبيات وهى

لا خير فى النرد لا يفنى عمارسها
فضل الذكاء اذا ما كان محروما
تريك أفعال فصيها محكمها
ضدين فى الحال ميمونا ومشؤما
فانك كاد ترى فيها أخا أرب
يفوته القصر الا كان مظلوما

(وكتبت الى صديق لى اذم النرد اليه وكان بها مغرما)

أيها المعجب المفاخر بالنر
د ليزهى به على الاخوان
قد لعمرى صرفت جهدى على ليـ
ـكذا لو لم يأتك الفصان
غير أن الاريب يكذبه الظن
ويفى بشدة الحرمان
ولعمرى ما كنت أول انسا
ن غوى فاخلفته الاماني

واذا جاءت القضاة بحكم
لم يحد عن قضائها الخصمان

وأنشدت لابي نواس في النرد

ومامورة بالامر تاتي بغيره
ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا
اذا قالت لم تفعل فليست مطيعة
وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا

انتهى بنا القول الى هذه الغاية وفي بعض ما قدمنا كفاية لذي التمييز والفطنة وهداية الى كريم الاخلاق في المنادمة وان لم نكن أحطنا بما ينبغي بشرطنا في التشبيت فقد نبهنا على يسير ما تهيأ أن نذكره على الجليل ودللنا بالقليل منه على الكثير ونرجو أن نسلم مع ما قصدنا له من الحض على جميل المروءة ونهج سبيل الى حسن العشرة مما يعنى به مؤلف الكتاب من المطاعن ويستهدف له من المعايب ان شاء الله تعالى

نحمدك يا من زينت الانسان بحلية الادب ورفعت به شأن النديم فسما أسنى الرتب والصلاة والسلام على أشرف من تكملت به الآداب وأفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله أولي الاخلاق الشريفة وأصحابه ذوي المناقب والفضائل المنيفة (وبعد) فيقول المتوسل بجاه النبي الخاتم خادم التصحيح بدار الطباعة محمد قاسم قد تم بالمطبعة الاميرية ببولاق التي أينعت

ثمارها بسائر الآفاق طبع أدب النديم المسفر عن كل خلق
جميل قويم لمؤلفه العلامة الفاضل النحرير اللوذعي الكامل
مرصع اطروس بلآلئ نظامه محلى نطاق البلاغة بجواهر كلامه
من سجعت ورق ألفاظه بفنون الادب على أفنان المعارف
وأشرقت مطالع بيانه بانوار بدور اللطائف أبي الفتح محمود كشاجم
ابن الحسين أنعم الله تعالى عليه في دار الكرامة بما تقر به العين
ولعمري انه لكتاب عديم المثال عزيز الوجود بعيد المنال يرشدك
كيف تنادم الملوك والامراء وينبهك على شمائل الظرفاء واللطفاء
فلله در ما أثمن درره وما أبدع فوائده وغرره يروق الناظر
بسلاسة مبناه ويعجب النظار بجزالة معناه هذا وكان طبعه
الفاخر ووضعه الأنيق الباهر على ذمة من حدت اراؤه فيما
بعيد وبيدي سعادة محدبك حمدي في ظل من نضرت به الايام
وشمل بروامع احسانه الانام صاحب السعاده وكوكب أفق
السيادة والمجاده من هو باحسن الثناء عليه حقيق الحديث الاعظم
محمد توفيق لازالت مصرنا آمنة به في ظلال رياش عدله وافلة
في مطارف عزه وفضله مشمولا طبعها بادارة صاحب نظارتها
المشمر عن ساعد الجد في تحرير انضارها وانضارتها من جواديراعه
في ميدان البراعة سباق الى الغايات سعادة علي بك جودت مدير
الوقائع المصرية وناظر المطبوعات ملوحة بنظر من به المعارف الى
ذروة الكمال رقت وكيلها حضرة عبيد الله افندي خيرت
وملاحظة البارع الامجد حضرة ابي العينين افندي احمد وطلع

بدرغمامه وفاح عبيره ومسك ختامه في أوائل رجب الحرام
عام ثمان وتسعين ومائتين وألف من
هجرة سيد الانام صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه
وكل ناسج على
منواله
تم

To: www.al-mostafa.com